ميلعلاوه

مهملإا تافارتعا رّسوق لخلا عم لماعتلا يف كلسلا جهنم ءاعدلا يف

ىلإ لوسلا ىلع سّجتلاو لوضفلا ّدعُي اذامل؟ الله

ةرشابلا ةسلجلا - هـ ١٤٢١ ةنسـ - يلاثملا ةزمحم يبأ ءاعد حرش

اهاقلا ةرضاحم
يّنارهطلا يّنيسحلا نسحم دّمحم دّيسلا جاحلا الله ةيآ
هرسد الله سّدق

.

@MadrastAlwahy

أعوذُ باللهِ مِنَ الشّيطانِ الرّجيمِ
بسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيمِ
وصلّى اللهُ على سيّدنا ونبيّنا أبي القاسمِ محمّدٍ
وعلى آلِهِ الطّيّبينَ الطّاهرينَ
واللّعنةُ على أعدائهم أجمعينَ

هل يُمكن نسبة المعصية للإمام عليه السلام؟

«فَرَبّي أحمدُ شيءٍ عِندي وأحقُّ بِحَمدي. اللّهمّ إنّي أجدُ سُبُلَ المَطالِبِ إليكَ مُشرَعَةً ومَناهِلَ الرَّجاءِ إليكَ مُترَعَةً».

فعضّ الناطق الرسمي للمكتب الإعلامي للعتبة الحسينية المقدسة على نواجذه، ثم بدأ يُبيّن جميع الأوصاف التي كان يتحلّى بها الإمام الحسين عليه السلام هذه الأوصاف التي تُعدّ من أبرز الصفات الوجدانية والخلقية التي تتصف بها النفس البشرية، وتأكّد أنّي كنتُ في الحرم المطهر الحسيني الشريف عند الساعة الثالثة والنصف من فجر يوم الثلاثاء، في اليوم الثالث من شهر شعبان المعظم، عام ١٤٤٦هـ، وأنّي كنتُ أتطرّق إلى شرح دعاء أبي حمزة الثمالي، فقال:

كيف ينسب الإمام الحسين عليه السلام في هذه الفقرات من دعاء أبي حمزة الثمالي المعصية إلى نفسه ويقول: «يا إلهي، أنا أذنب؟!» فمثلاً، يقول في إحدى الفقرات: **«الحَمدُ للهِ الّذي يَحلمُ عَنّي حَتّى كأنّي لا ذَنبَ لي»**. أليس أنا نسبة الذنب إلى نفسه فيكيف ننسب الإمام هو لذنب؟!

وقول أنّه موجود؟!

على سبيل المثال، لا توجد الآن مسبحة في جيبي، ولكنّني أقول: «أنا أملك مسبحة»؛ أو ليس لديّ مال، ولكنّني أقول: «أنا أملك مالاً»؛ أو لم أرتكب الذنب الفلانيّ، ولكنّي أقول للناس: «لقد ارتكبتُ الذنب الفلانيّ!». إنّ هذا العمل محرّمٌ وليس صحيحًا! وكذلك لو أنّ الإنسان قد فعل أمرًا، فلا يستطيع أن يقول: «إنّني لم أفعله»؛ لأنّه فعل محرّم؛ كأن يتفوّه بكلام كذب، ولكنّه يقول: «لم أقل هذا الكذب»؛ أو يرتكب غيبةً فتصل هذه الغيبة إلى مسامع ذلك الإنسان [الذي اغتيب]، ولكنّه يقول: «لم أغتبه».

معنى الغيبة، ولزوم ابتعاد السالك عن الكلام الذي لا فائدة فيه

وهو لا يخفى أنّه علينا أن نعلم أنّ المسألة في الغيبة تختلف، هي على خلاف ما يقولون.

فالغيبة محرّمة، حتّى إنّ الدين في الرواية: «الغيبة أشدُّ من الزّنا»[1]؛ والغيبة هي أن تهتك ستر مؤمنٍ عند من لا يعرف عيبه. أمّا إذا كان هذا الشخص مُتجاهرًا بالفسق، وكان الناس

---

1. الأمالي (للطوسي)، ص ٢٨٠ و ٢٨١؛ وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ١٥٠، ج ٢.

لماقول ،انهف ؛كلذكنّأ نوملعيمجلاو رمخللب راشو هًلاثمف ،لكللأحضاوو عيمجلا هملعيخيشلا موحرملا ،أمّرحمسيلل معلا اذهنّأ مغرف «رمخللب راشأنلافنّ» :نسانلإا

:لوقيناكهلعلى عللهاتعنأ ضرياصنلأا

لعفلهنكلو ،أنلعُمصقنلاو بيعلا كلذنكاذإ امهفةمرحةيلا تبيغلانّإ مهلوقمغر !؟نُسحتسملعلا اذه

وهاملبلا!؟هلوقيناكهيفةمرحةيلا تّنلأ لهفأ!أدجُبيجعُرمأ اذه

!؟أمزلا هكرتوأ هلعفنوكيلا ءيشّلكلنسانلإا ىلع بجيتاعطنلأ سساسلأا يفيعادلا

وعلى سبيل المثال، يجلس صديقان معًا ويقولان: «هل تعلم أنّ فلانًا يرتكب هذه الأعمال؟! هل تعلم أنّ فلانًا قد أقدم على هذا العمل في المدينة الفلانيّة؟!». ففي هذه الحالة، علينا أن نقول له: «لا أعلم ولا أريد أن أعلم! وهل هذه الأحاديث والمسائل تستحقّ أن تُقال؟!».

ذات يوم، جاء أحد الرفقاء من مكانٍ ما، وقد أحضر معه دفترًا كبيرًا وسميكًا، حيث كان سُمكه يبلغ حوالي ثمانين أو مائة صفحة؛ والآن لا أدري كم كان قد ملأ من هذا الدفتر! فقال لي: «يا سيّدي، هل تسمح لي أن أطرح عليك المواضيع التي سمعتها في المكان الفلانيّ؟» قلتُ: «لا!». قال: «يا سيّدي، لقد ذهبتُ وبذلتُ جهدًا كبيرًا!» قلتُ: «لقد بذلتَ جهدًا عبثًا! فعندما تكون المسألة واضحةً بالنسبة لي، فلو قلتَ أنت الآن إنّ فلانًا قال هذا الكلام وفلانًا قال ذاك الكلام، سيتكدّر الخاطر أكثر، ويتغيّر قلب الإنسان تجاه الناس».

يفمهدحأ دجنف.ىقبيءافصلا اذه اوعدف ،نلافهاجتفٍاصنسانلإا بلقنّأ امبنلآاو

ةعقبلا هذه يفلوّلأا نوكينأ وأ ،رخلآا امهفرطيفرخلآاو ةّيضرلأا ةركلا نمفرطلا اذه ةنسلا يفةّرمولو ًأتاتبامهضعبنايريلاو ،طابترا ّيأ امهنيبسيلو ،ةعقبلا كلتيفناثلاو يفًلاثم ،أمئاد امهدحأ ركّفيأ مأ ،ءافصامهنيبنوكينأ نلآا لضفلأا لهف ،أعمائّدحتيلا !؟يئارونمي ّنعثّدحتدقكذا ّنأبأ ،مونلا دنعوأ ةلاصلا

ةدحاو ّيأ :يفوهانملاكّنلآا ،هيلعبذكيملو قدصلابهنعثّدحتنوكيدقةّنأ مغرو

كلذ هلاقيذلا امفلا ،رملأا اذهنعثحبنأ بجيفأ!؟كلاسللعفنأ نيتلاحلا نيتاهنم

نأ بجيذلا امفلا!هفيلكتبوهسفنبردأ وه!ةّبربوهسفنبردأ وه!؟انأ يتقلاعامو !نسانلإا

!؟انهاناهلعفأ

صرفلا مانتغا يف هتريصبو كلاسلا ةناطف

ثيح .اذه دصقي هّنإف «أنِطف نوكتن أ كيلع» :هّنأ نع اًريثك ثّدحتي أظفاح ىرذ امنيحف

[1]«سّيِكُنمؤملا» !هحلاصل صرفلا لضفأ لّغتسي يذلا ىلع نطفلا قلطُي؛ فالمؤمن فطنٌ

وذكيّ، والمؤمن حاذقٌ ودقيقٌ ولطيف! والآن في مثل هذه الحالة، هل معرفة أنّ فلانًا قد تكلّم عنّا من وراء ظهورنا أفضل أم عدم معرفة ذلك؟! عدم المعرفة أفضل! فلقد ارتكب الآن خطأً وغلطة، ولكن على أيّ حال، فيما يتعلّق بي، ماذا سيعطونني؟! لو لم نعلم أنّه قد اغتابنا، لكنّا أنقياء وصافين تجاهه، وليس لدينا أيّة مشكلة معه، بل وندعو له أيضًا؛ ولكن لو علمنا بذلك، لما دعونا له بعد تلك اللحظة، ولقلنا: «يا له من إنسان! لقد تكلّم عنّا من وراء ظهورنا! ما دام الأمر كذلك، فأنا أيضًا سأحصل على أمرٍ عنه وأنشرُه!». فلم تكن طريقة الأعاظم أن يقولوا ويضربوا وينهوا القضيّة، بل كانوا يريدون دائمًا أن يتعاملوا مع الأمور، بحيث تسير هذه الأمور بهدوء.

ةّيصخشلا هحلصمل هسّاسحلا نم عمّيناريهطلا ةملاعلا لماعتلا ةّيفيك

دحأ هيلإ ءاجف ،هيلع الله نوانضر **ةّملاعلا موحرملا** رضحم يف ّنأك ،مّايلأا دحأ يف :لاقو دهشم يف ءّابطلأا انئاقدصأ

لقد وقعت قضيّة، وأريد أن أطلعكم عليها لنرى ما الذي يجب أن أفعله. لقد اتّصل بي طبيب قلبكم وقال: «الليلة الماضية في الساعة الثانية عشرة بينما كنتُ نائمًا في المنزل، رنّ جرس الهاتف فجأةً، واستدعوني من مستشفى الإمام الرضا عليه السلام، وقالوا إنّ العلامة الطهرانيّ أصابته وعكة قلبيّة وهو يتألّم. لقد تعجّبتُ كثيرًا! لأنّ هناك العديد من الأفراد الذين يحيطون بالعلاّمة، وليس الأمر بحيث يتّصلون من المستشفى ليقولوا إنّ قلبه يؤلمه وتعالَ أنت لفحصه! على أيّ حال، ذهبتُ إلى قسم القلب في مستشفى الإمام الرضا عليه السلام ورأيتُ أنّ المريض شيخٌ! وعندما سألته، أدركتُ أنّه لا يُسمّى في الأساس بالطهرانيّ! فسألتُ: ما القضيّة؟! قالوا: لقد أصابته وعكةٌ قلبيّة. ففحصتُه ورأيتُ أنّه لا توجد لديه مشكلة؛ وخلاصة القول، سمحت له بالخروج من المستشفى. والآن أردتُ أن أقول لكم: هل ينتسب هذا الرجل للعلاّمة الطهرانيّ أو له ارتباط به؟!».

ةيارد ىلع متنأو !أتاتبه طٍابترا ّيأ هل سيل لجرلا اذه ّنإ :تُلقو اًريثك تُبّجعت دقل وأ ةرشع ةيناثلا ةعاسلا يفِ دحأ لصّتا نأ نلآا ىّتح ثدحي لهف !هجهنمو ةملاعلا قيرطب نلأُ دعتسم هّنإ !؟ىفشتسملا يف انأو يملؤي يبلق ،يّدسيا :لاقو ليللا فصتنم دعب ةدحاولا !روملأا هذه يفِ ءاذع أدحأ فّلكي لاو تومي

[1]. ٤٤ ص ،١ ج ،مكحلا رر غ (ريسيف لا تخا عم) ١٨٢ ص ،٢ ج ،يفاكلا

اوّلغتسيل أن أدار أدوقف ،**ةمّلاعلا موحرملا** بيبط بكان بيبطلا اذهّن أنامبّحضتا ثمّ **موحرملا** لأسيملّ ،عبطلابا!لجرلا اذهنياعيو ىفشتسملا ىلإ نيكسملا بيبطلا يتأيي كهسا **ةمّلاعلا**من هو ذلك الرجل، وحتّى عندما أراد أن يذكر اسمه، قال: «لا تذكر اسمه!».

:مهأساولهّ ةيضقلا هذه عابتأنت ،ديّسي ايبيبطلا كلذل لوقيل أن كاذا كنيقيدصتقدأ دار

:**ةمّلاعلا موحرملا** لقاف!؟لمعلا اذهل ثملعفي أن إنسانٍ ملعلا اذاجيب عل ىإنسانٍ

مسا نمهم دحأ ديفتسيل أن نمآلا عانملا امف!أيضًا لمعلا اذه ىلع اودقُتلا !لاكلاكّ

!؟انتئافي هام ،مسا دقبولو سانلا نيعفاذنكمل اذا!؟هضرم نمهم ىفشُيكٍ إنسان

ىرياء لاجلاو ةمظعلا نم كم ،أًقحو !ةطاسبلا اذكه أفرا عنسانلإا حبصيل لا

لا اذه ؛نسانإ ةناكم نمعفترا قد الله دابع نمٌ دحأ ،نآلاو !لجرلا اذه لثامي فنسانلإا

!كلذكنكيملهسفنو هو ،ةدسفملا ريثُتلا تلاحلا لمشيل لا اذه ،عبطلابا!ةعباتملا يتسعدي

اهعباتيل ،اللهّ ردقً لاةدسفم ريثتدقرُومأ هيفإ ليإ هيفبسنُتتناكلا تلا يتحلا ضعبف

أمو ؛عوضوملا يهُتي ،ةعباتملل ةلباقلا ةيضقلا نأنسانلإا كلذ امدنعو ،ةلأسملا يهتنتو

!كلذ يفلاكشإ لا ،ىفشُيلهسملا سيولغتضُ ،مهيفاهرير يتأيي تلاحلا تلا يف

نيرخآلا بويع ىلإ كلاسلا تافتلا مدعوزلم

«سِّيكُنمؤملا»؛ المؤمن فطنٌ وذكيّ. ولهذا، كان المرحوم الشيخ الأنصاريّ يقول:

«غيبة الأفراد المتجاهرين بالفسق ليست محرّمة، ولكن هل هي واجبة؟!». كأن يكون فلانٌ على سبيل المثال يحلق لحيته، وحلق اللحية محرّمٌ شرعًا، وهذا الإنسان متجاهرٌ بالفسق؛ وحينئذ، لو قيل: «إنّ فلانًا يحلق لحيته»، فليس ذلك محرّمًا؛ وذلك لأنّ جميع الناس يرون فسقه. يُقال: كان لأحدٍ زوجةٌ غير محجّبة، وكان يمشي بها في الشارع، فنظر رجلٌ إلى زوجته، فقال له: «لمَ تنظر إلى زوجتي؟!»، فقال ذلك الرجل: «لو أردتَ ألاّ ينظر إليها أحد، لألبستها العباءة ،ووضعتَ على رأسها نقابًا أيضًا حتّى لا يراها أحد! لقد أخرجتها وزيّنتها لينظروا إليها، والآن بعد أن نظرتُ أنا تعترض عليّ!».

جميع الناس يرون من هو متجاهرٌ بالفسق وحلق اللحية، ولكنّ الكلام هو في: ما هي المصلحة في الحديث عن ذلك؟! هنا، نجد بأنّ حدود الدين والشرع تجعل لكلّ مرتبةٍ حالةً خاصّة بها؛ فبالنسبة للعوامّ، يُكتفى بالقول: «لا تغتب»، وأمّا بالنسبة للخواصّ والسلاّك، فيُقال: «إنّه حتّى في حال التجاهر بالفسق، لا ينبغي لك أن تتكلّم، وإذا تكلّمتَ، فقد خسرتَ وتسمّرتَ في مكانك!»؛ فلا ينبغي للسالك في الأساس أن ينظر ما هو عيب هذا الإنسان وذاك، ولو كان لديه عيبٌ حقًّا! وهنا، أريد أن أوضّح أنّه قبل أن يتوجّه الفساد [في هذه المسألة] إلى محيط الإنسان، يكون الإنسان نفسه قد فسد أوّلاً؛ أي أنّ الذي يغتاب، يكون هو نفسه قد فسد أوّلاً، ثم نقل هذا الفساد [للآخرين]. فإذا كان هو الآن قد فسد، فذاك شأنه؛ ولكن، ماذا ستفعل أنت بهذا القلب الذي فسد؟!

لزوم الالتفات إلى الذات والابتعاد عن الاهتمام بشؤون الناس

من التعليمات السلوكيّة أنّ السالك لا ينبغي له أن يحشر نفسه باستمرار في القضايا، ليرى ماذا حدث هناك وماذا حدث هناك؛ لأنّ هذا العمل مخالفٌ للسلوك تمامًا! وعلى سبيل المثال، عندما نجلس في مجلس ويتحدّث اثنان في زاوية معًا، ننظر لنفهم ما الذي يقولانه، فتجدنا لا نسمع صوتهما، ولكنّنا نريد أن نرى ما الذي يُفهم من حركة أفواههما. هذا عملٌ مضادٌّ للسلوك! أو يتحدّث اثنان خلفك الملتفت، فما علاقتي أنا بأنّهما يتحدّثان، فليتحدّثا بما يشاءان! يجب أن أشغل نفسي مثلاً بشرب الماء وتقشير البرتقال. وعندما نكون في مجلس، ويتحدّث أحدٌ مع آخر، تارةً نُركّز كلّ أذهاننا على ما يقولانه. فهذا الإنسان يتحدّث بحديثٍ خاصٍّ، فلماذا ننظر نحن؟! فلنطأطئ رؤوسنا ولنشغل بأعمالنا، كأن نتحدّث مثلاً مع جليسنا.

هذه الحالة التي يلتفت فيها الإنسان هي حالة خاطئة، وهي حالة نقصٍ وفراغ! يجب على السالك أن يستغرق في نفسه أكثر، لا أن يخرج من نفسه دائمًا ويشرهها ويضعها تحت تصرّف الآخرين! فمثلاً، عندما يأتي اثنان بعضهما ليتحدّثا أسفل الدرج، تجدني أسعى لكي أرى ما الذي يقولانه لبعضهما! وحتّى أنّني في بعض الأحيان أرسل شخصًا آخر ليذهب إلى هناك، ويجلس، ويرى ما الذي يقولانه!

كنتُ جالسًا في منزل **المرحوم العلّامة** في مشهد وأتحدّث مع أحدهم، فانتبهتُ إلى أنّ عدّة أفراد يجلسون خلف الباب، ولم يكن لي بهم شأن. فجأةً، خرجتُ، فرأيتُ طالبين يذهبان بسرعة، فاصطدمت قدم أحدهما بأسفل الباب، فسقط داخل الشرفة! ماذا يعني هذا العمل؟! أترون أن تستمعوا ما الذي أقوله؟! كلامي قد قاله الخواجه حافظ وألصق هذه المسألة فوق القبّة السبع. أنا لا أقول شيئًا! فاذهبوا، وتحدّثوا، واجلسوا هكذا، وشكّلوا جلسات من الصباح إلى المساء، فما فائدة هذا العمل؟! يجب أن نفعل شيئًا لنصلح أنفسنا!

ساهل دل طلب جام جم از ما مکی درک[1] ** آینه خود داشت ز بیگانه تمنا مکی

يقول

لسان التركي القلب يطلب منّا كأس جمشيد[2] ** وما كان يملكه هو، كان يتمنّاه من الغرباء

---

[1] **ظفاد نواي**، الغزل رقم ١٤٣.

[2] اسم علم لأحد ملوك إيران الأقدمين، وهو مشهور بالكأس التي كان يرى فيها أحداث المستقبل، ولذلك عرف باسم: جام جم (موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ص ٣٦٧). المعرّب

الالتفات إلى شؤون الآخرين يسلب الاستقرار والسكينة من الإنسان

بدلاً من أن نستغرق في أنفسنا، ونجد ما نبحث عنه في هذه الأنفس، تركنا هذا، والتفتنا إلى أناسٍ سيرتحلون غداً، ولا توجد لديهم بنية أيّة صلة أو ارتباط، بل اقتربنا من بعضنا فقط، سلّمنا على بعضنا، وسألنا عن أحوال بعضنا، ثمّ ودّعونا، ويرحلون!

- يا سيّدي، إلى أين تذهب؟!

- لقد رحلت!

- يا عزيزي، لقد كنّا هنا من أجلك حتّى الآن!

- كان عليكم ألاّ تكونوا هنا! من قال لكم: هل أجبركم أحد على ذلك؟!

حينها يلطم الإنسان على رأسه! بالطبع، ليس المقصود بالرحيل، الرحيل في الدنيا، بل الرحيل في الموت. فكلّ امرئٍ يهتمّ بشأنه، فلماذا لا نغوص في أنفسنا؟! ولماذا لا نبحث في أنفسنا؟! ولماذا نخرج من أنفسنا؟! ولماذا نذهب دائماً إلى هناك؟!

ولهذا، نلاحظ أنّ الأفراد النابضين والمتميّزين والرساليين وذوي الخبرة والأصالة هم دائماً صامتون منشغلون بأعمالهم وأفعالهم وسلوكهم، ولا شأن لهم بتاتاً بمن يفعل ماذا أو لا يفعل. ومن الأشياء الجيّدة حقّاً من هذه الناحية هو أنّه في بعض هذه البلدان الأجنبيّة مثل أمريكا، لو سار إنسانٌ في الشارع، فإنّهم لا ينظرون إليه أبداً، وكلّ امرئٍ يسلك طريقه ومنشغلٌ بعمله. وعلى سبيل المثال، لو كانت امرأة تدّعي العباءة تسير أيضاً، فإنّهم يطأطئون رؤوسهم ويذهبون، أو لو كان رجلٌ يسير مع زوجته في الشارع، فإنّهم لا يلتفتون إليهما، وكلّ امرئٍ يسلك طريقه ومساره. والآن لا أريد أن أقول إنّ هذه القضيّة كلّها صحيحة، بل هي صحيحة من وجهة نظر واحدة؛ ألا وهي أنّ الناس لا يلتفتون إلى تلك القضيّة بتاتاً! يمرّون دون اكتراث ولا مبالاة

يجب علينا أن نطبّق هذا المعمل نفسه في طريقنا، وألاّ يكون لنا شأنٌ بعمل الآخرين بتاتاً؛ لأنّ كلّ امرئٍ طريقاً فيما بينه وبين ربّه، وله حساب خاصّ به بمقتضى خياله واعتقاده بربّه. إنّ عدم الالتفات إلى هذه المسألة يؤدّي إلى أن يُسلب من الإنسان ذلك الجانب من التركيز والاستقرار والسكينة الذي هو لازم للسلوك، وبدونه لا معنى لهذا السلوك. فالأفراد الذين لديهم تشتّت لا يستطيعون التحرّك أبداً؛ لأنّ برزخهم يكون مختلّاً

هذا وشوّشاً، ويكون مثالهم مختلطاً ومضطرباً. فتجدهم يتحدّثون دائماً، ويتنقلون من هذا الطرف إلى ذاك، ومن هذا الغصن إلى ذاك. فيجلسون، ولكن ليس لديهم سكينة واستقرار

يرى ، فجأةً وهُلة من الأفراد يؤثّرون على مضمون الجلسة مع الإنسان عندما يجلس. وكون السكينة والهدوء هي حالة مستقرة من الطمأنينة. هذا لا يعني أنّ الاضطراب والقلق والتشويش هي حالة مصاحبة دائمًا.

في الرواية الدينية، السكينة والهدوء هي حالة من الملائكة دائمًا، والشياطين دائمًا في حالة من التململ والتغيير. كلّما تدنّى إلى الطرف الآخر من الاقتراب من صفات الملائكة، زادت حالة السكون والصمت والسكينة. هذا، مع الإنسان من صفات الملائكة، فلن تحدث له أيّ شيء، بل سيظلّ في مكانٍ ما ولم يتكلّم، ولن يساعد أحدٌ في الجلسة مع الإنسان أنّه جلس أصامتًا هكذا.

السكينة والهدوء، مصداق العلامة الطباطبائيّ

كان المرحوم العلامة الطباطبائيّ هكذا. في أيّ مجلس كنّا معه، لم يكن يتحدّث حتّى يُسأل، وكان دائمًا منشغلاً بالذكر أو صامتًا، ولم نكن نفهم ذكره الخفيّ. وعندما كانوا يسألونه، كان يجيب؛ وإذا لم يسألوا، كان يجلس صامتًا هكذا. هذه هي السكينة والهدوء. ولكنّ البعض ليسوا هكذا بتاتًا. فبمجرّد أن يجلسوا، لا يستطيعون ألاّ يتكلّموا؛ أي لو جلسوا في مجلس ولم يتكلّموا، فإنّهم لا يرون قيمة لهذا المجلس أبدًا، ويقولون: «ذهبنا إلى منزل السيّد فجلس صامتًا، وجلسنا نحن صامتين، ولم نفهم شيئًا ولم نستفد بتاتًا! يا سيّدي، تكلّموا لنستفيد!». يا عزيزي، هذا الكلام نفسه هو خسارة من رأس المال. بمجرّد أن تجلس صامتًا أمامي، تكون قد أخذتَ نصيبك؛ إذ لا يأخذ أحدٌ نصيبه بالكلام، بل يأتي الكلام بنفسه بالقدر المطلوب؛ فيتمّ بيان حلّ المشكلة بالقدر اللازم.

القرب من صفات الشياطين، عامل التشويش والقلق والاضطراب الباطن

في الرواية الدينية، تزداد حالة القلق فيه، كلّما اقترب من صفات الشياطين، وأعماله، وأفعاله، وتصدر منه حركات غير عاديّة، وتشويش، وتصدر منه أفعال غريبة. هذا الإنسان لديه غليان باطن من الاضطراب بسبب ذلك الجانب من شخصيّته. هذا هو العامل المختلف تمامًا الذي يتصدر من وجوده والتي تصدر من الباطن والداخل.

في الرواية الدينية، هذا لا يعني أنّك لا تريد أن تتحدّث مع أحد تمامًا من الحالة من الهدوء، فإنّك لا تريد أن تحصل على أيّ شيء. فمن يذهب إلى مجلس عروس تريد أن تستريح تمامًا. لا تريد أن تكون هادئًا، بل يجب عليه أن يذهب إلى مكان لا يصل إليه صخب وصراخ، لا يأتيه الناس، ولا يأتيه أحد. لا يستطيع الإنسان أن يتحرّك في حالة السكينة والهدوء؛ لأنّ عضلاته تضطرب. على أيّ حال، هذه المسألة لها بابٌ مفصّلٌ جدًّا، وتكفي في حالياً بهذا المقدار الذي يبيّنها.

في الرواية الدينية، عندما يجلس الإمام المعصوم عليه السلام في مجلس عزاء أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فإنّ أحد المشاركين في المجلس يسأله سؤالاً، فهل يذهب الإمام، في هذا العزاء، ويذكر أنّه قد ذهب لكي يجيب على السؤال الذي طُرح؟!

الملعاصي الكبيرة والوصول إلى الظلم، لقد أعطيتُ الرشوة من أجل إبطال الحقّ ومحوه!». كيف يمكن للإمام عليه السلام أن يطرح هذه الأمور في دعاء أبي حمزة؟!

جواب الإمام السجّاد عليه السلام إشكال اعتراف المذنب بذنبه

فقد بيّن الإمام السجّاد عليه السلام أنّ الإمام وهو الذي يدعو الله أن يغفر ذنوبه، يقول: يا إلهي، كيف يمكن أن أعتبر نفسي مذنبًا وأنت قد أعطيتني مقام الإمامة والولاية؟! فهذا طرف من القضيّة، وهو أنت، وهو كلّ الكمال والجلال والقدرة والعلم والعظمة والكبرياء والنور والوجود؛ وهذا طرف آخر وهو نحن؛ ذلك الطرف من القضيّة الذي هو أنت، وهو الرحمة والعطف والعلم والقدرة والجلال والكبرياء والعظمة والنور والوجود؛

---

[1] المصدر نفسه.

لكأو ،ةقرسو ،ةوشرو ،ةمهتو ،بذكنمهنم روّصتكنكمُيامكيهفةيضقلانمرطفلاذهو .ةيلاكتلاءادأيفعطبو ،نايصعو ،سانلاملا

«يتَجاحِلا ُتئِشامّلكِهيدانأ يذّلا ِللهُدمَحلاو»: لوقيهيلعملاسلا

«يتَبَنُضرقتسَيَنيحًلايخَبُتنُكنإو يتيطعُيَفُهُلئسأ يذّلا ِللهُدمَحلاو»: رخآعضومفيركذيو

﴿نمَّ﴾: لوقيوهيّنمبلطبامّلكلإهِّبُتمنهأعطناي، رغمأنّهعدنامدنيطلبتُلطبلا[أي: الحمدمختصٌّبالله ﴿أَمَّنيُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[1].

.لجّوأطابتأولعفلايّنإف

ملاسلامهيلعءلاطلأاةمئلادىلدةيعمجلامقام

إنّ لازم المجيء إلى الدنيا وارتداء لباس الكثرة والدخول في عالم الكثرات والتوغّل في الأهواء البهيميّة والنفوس الأمّارة و... هو هذا كلّه. أي إنّه يقول: «يا إلهي، أنا هو هذا!». فليوفّقنا الله تعالى لنفهم حقيقة مقام الجمعيّة لدى الإمام عليه السلام، وكيف يكون الإمام عليه السلام في هذا المقام!

[2]**«مُتنِشامانيفاولوُقوةُيبوبرلانعانولزَنَ»**: لوقي، ةيضقلانملوّلأافرطلايفف؛ أي:

لا تعدّونا أربابًا وقولوا فينا ما شئتم». فإن قلتم لنا: خالقون، فنحن كذلك، وإن قلتم لنا: رازقون، فنحن كذلك. فقط لا تقولوا لنا: إنّكم آلهة! وفي الطرف الثاني من القضيّة، نجده يُشير إلى مثل ما ورد في دعاء أبي حمزة، فكيف يمكن الجمع بين هاتين المسألتين؟! وفي أيّ مكانة يكون الإمام عليه السلام في ذلك المقام، وكيف تكون مكانته في هذا المقام؟!

هنا، لا تكون مسألة الإمامة محطّ نظر الإمام بتاتًا؛ أي تلك الإمامة التي أُفيضت من قبل الله، بل إنّه ينظر فقط إلى جانب الكثرة والإنسانيّة والبشريّة ويقول: «يا إلهي، لو لم يكن لطفك، لكان الإنسان هو هذا! أنا أعطي الرشوة، أسرق، أغتاب، أتّهم، آكل مال الناس، أعصي ولا أصلّي؛ أنا هو هذا! هذا هو بُعدي البشريّ».

هتمحرواللهقيفوتبةنوهرمةحلاصلاملاعلأا

يذلاتنأفُ،تيّلصولكنمامهمةمحرلاواقيفوتلانّإف،ةيضقلانمرخآلافرطلايفي ينتحنمهذانمدونملاصةلوُ.تُمصفأ،تنأذلايّنإفلاتلابو؛يلكذلكنتقّفوي تمهةألفلاقةلحاىفكنّإفاللهانقّفويملولاتُمصاملصيّنقّفوتملولو،كذلكقيفوتلا ،قرسا،مهّتم،ساكنإنسانلاوهوقيفوتدوبنسانلاوهواللهو،قّفويذلا!ةبغوكذبةنإذ .مبطلّلحقّحمويّبلطلابلاوقيفوتلاوهاملإامعنسانلاىلعدّجسلاهيلعملاسلافسه

---

1. ٢٤٥.ةيلآا(٢٧)ةروسلاةرقبلا

2. ٤٣٨.ص، ٢٠ج، **جاجتحلا**

واإلنسان مع التوفيق هو اإلنسان الذي يقول: «سلوني قبل أن تفقدوني فإنّي بطُرُقِ السّماءِ أعلمُ منكم بطُرُقِ الأرضِ»[1] واإلنسان مع التوفيق هو الذي يقول:

وإنّي وإن كنتُ ابنَ آدمَ صورةً ** ففيَّ لمعنًى شاهدٌ بأبوّتي[2]

عدم توفيق اإلنسان معلول إلرادته هو

أمّا اإلنسان بدون توفيق، فهو الشمر ويزيد وعمر ومعاوية. فتجده من الصباح إلى المساء يحتال، ومن المساء إلى الصباح يحلم بالاحتيال: ماذا سيفعل غداً وبعد غدٍ بهذا وذاك! لماذا هذا اإلنسان ليس لديه توفيق؟! ولا يخفى أنّ جميع هذه الأمور خاضعة لحساب خاصّ؛ أي: ألنّه هو نفسه لم يُرد، فقد أعطاه الله تعالى عدم التوفيق. ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾[3]؛ لقد نسيتم ربّكم، فنحن أيضاً نعطيكم ما تريدون، ونسلبكم ذكر أنفسكم. وأردتم أن تذهبوا في هذا الطريق، فنحن أيضاً نقوّيكم ونجعلكم محكمين وراسخين؛ ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾[4] هذا هو اإلنسان بدون توفيق.

اعترافات اإلمام السجّاد مبنيّة على لحاظ الجانب الخَلقيّ

إذن، اإلمام السجّاد عليه السلام يبيّن في هذا الدعاء حال اإلنسان وحال نفسه. يقول: يا إلهي، أنا أمتلك بُعد اإلمامة، ذلك البُعد نفسه الذي أكون فيه واسطة بينك وبين الخلائق، وأنت الذي منحتني إيّاه. وأمّا أنا هذا، فماذا أكون؟ أنا الذي أمتلك شعراً وحاجباً وفماً وأعضاء! فهذه الأذان وهذه النفس التي جاءت وظهرت بلباس البشر، إذا لم يُلحظ فيها جانب اإلمامة والولاية والبُعد الربوبيّ والأمريّ؛ بل لوحظ فيها الجانب الخَلقيّ، تكون مستعدّة للكذب واالفتراء والرشوة والسرقة وأكل مال اليتيم و...! فكلّ هذه الأمور تتعلّق بهذا الجانب نفسه. وعليه، فإنّ اإلمام السجّاد عليه السلام صادق في كلامه وصائب في قوله. هذا، ولا ينبغي علينا أن ننسى أنّ هذا الدعاء لي ولكم؛ لي أنا الطهراني الشخصيّ، ولكلّ من يسمع منكم! فهذا الدعاء لي ولكم.

---

1. نهج البلاغة (عبده)، ج ٢، ص ١٥٣.
2. ديوان ابن الفارض، البيت ٦٣١ من التائيّة الكبرى.
3. سورة الحشر (٥٩)، اآلية ١٩.
4. سورة اإلسراء (١٧)، اآلية ٢٠.

عدم وجداننا لحقيقة أدعية الإمام السجّاد

لا تتصوّروا أنّنا ذأتي في ليالي شهر رمضان ونجلس، والسيّد يقرأ لنا دعاء أبي حمزة، ونحن نستمع ونذهب! لا يا سيّدي، هذا الدعاء لي ولكم، والإمام السجّاد عليه السلام يريد أن يقول لي: أيّها الذي أخذتك الدنيا وخُدعتَ وأصبحت غافلاً، انتبه إلى مكانتك، واعلمه لجئتَ بهذه المكانة وهذه المسائل من عندك، أم أُعطيتَ إيّاها؟! افهم هذا، فإن فهمتَه، فالأمر قد تمّ، ولم يعد لازمًا أن تسير، بل ستكون قد طويتَ السير والسلوك!

بالطبع [هذا مشروطٌ] بأن نفهم هذه المسألة، لا أن نقول هكذا ببساطة: «نعم، صحيح، السيّد يقول كلامًا صحيحًا!». يجب أن نجد هذه المسألة وجدانًا، كما نجد نسبنا ووضعنا وجدانًا. هل خطر ببالنا أو ببالكم يومًا أنّ هناك نسبة بيننا وبين زيد بن أرقم أو فلان آخر؟! كلاّ! في حين أنّ الأمر ليس كذلك بالنسبة لوالدينا؛ لأنّنا رأينا أبانا وأمّنا، والقرائن والشواهد تحكي أنّ نسبتنا إليهما محرزة ومحدّدة؛ لأنّنا على يقين من ذلك. ونحن لا نتخلّى عمّا نحن على يقين منه.

نحن لسنا على يقين بكلام الإمام السجّاد، وقد أخذنا كلامه عليه السلام على محمل الهزل! فمن جهة، فإنّ دعاء أبي حمزة هو من كلام الإمام، ويعطي حالة الانبساط والالتفات والابتهال والبكاء؛ ولهذا، فإنّنا نأتي ونقرؤه. في حين أنّ الإمام السجّاد عليه السلام يطرح تلك المسائل ويبكي! ففي نهاية المطاف، من أين تأتي هذه الدموع؟! إذا كان من المقرّر أن يذكر هذه المسائل لأجلنا نحن، ويقوم ـ والعياذ بالله ـ بالتمثيل، فمن أين تأتي هذه الدموع إذًا؟! فما هي المكانة التي رأى فيها نفسه حتّى ذكر هذه المواضيع؟!

إذن، يجب علينا أن نفهم هذه الحالة وأن ننتبه إلى أنّه ليس لنا من الأمر شيء! أنا أضمن لكم، وإن شاء الله نلتقي في يوم القيامة! بالطبع، إن شاء الله نلتقي في مكان جيّد، لا في مكان لم يوصِنا به السادة الأطبّاء وقالوا عنه: إنّه ليس جيّدًا. لقد أوصانا السادة بالجنّة، وإن شاء الله يُعاملنا الله بنفس وصفة السادة! إن شاء الله عندما نلتقي، سنفهم أنّه لم يكن في هذه الدنيا من الأمر شيء، وأنّ كلّ ما هو موجودٌ هو عنايته وتوفيقه! والآن، لِمَ نتشاجر مع هذا وذاك؟! لِمَ نصرخ ونصيح كلّ هذا الصراخ؟! لِمَ ننشغل بأعمال الآخرين كلّ هذا الانشغال؟! هم أيضًا لهم ربّهم!

كولسلا مزلا ،سفنلاب لاغشنلاا

قال لي أحدهم: «يا سيّدي، هل فلان على صلة بك؟». فقلتُ: لم أفكّر أبدًا حتّى الآن هل هذا الإنسان على صلة بي أم لا! إن أعجبه الأمر، فليتّصل بي، وإن لم يعجبه، فلا ضير في ذلك! وحينئذ، لماذا ينبغي على الإنسان أن يقول باستمرار: «هل اتّصل بك فلان، أم لم يتّصل؟ منذ متى لم يعُد فلان يتّصل بك؟». كفى، أنهِ الأمر! إلى متى يبقى الإنسان في هذا القيل والقال؟! روحي فداك، لقد مضى العمر، وشاب الشعر! لا تجلس هكذا مهتمًّا بهذا وذاك، ولا تجلس هكذا متعلّقًا بهوى هذا وذاك! والآن، على فرض أنّ فلانًا قد اتّصل، وعلى فرض أنّه يتّصل كلّ يوم ويزورني في قمّ ثلاث مرّات يوميًّا، فهل ارتاح بالك؟! ماذا يعطونك بمجيئه ليأخذوه منك بعدم مجيئه أو بذهابه؟! فلنهتمّ بأنفسنا!

دومحم لضفأ ىلاعتلا الله

كلتبلا ،لجاملا ،كلذبلا ،لكاملا ،كلذبلا ،فاصولأا كلتبلا وه ،ةيضقلا نم رخلآا فرطلا يفف ؛يفو اطعلا كلذبلا ،ةمظعملا كلتبلا ،ملعلا كلذبلا ،محرلا كلتبلا ،ءاطعلاو دوجلا كلذبلا ،ةجهبلا ،رملأا نّأ نمبلآاو !ءاقشلاو سؤبلاو ةنكسملا ريغ ءيشلا دجوي لا ،ةيضقلا نم فرطلا اذه نأ عيطتسلأا ايندلا يف الله نم لضفأ دٍوجو ٍيّاذ «يدنِع ٍءيشُ دمحأ يّبَرَفه» ،كلذكو !؟هدمحأ

!لاجملا هنم ىلعفأ يّشيءٍ ضعديي أرا هقدسفدنعً،لاثمفا!دسفدقة ةدورلا ىرأ امدنع أ:لوقي ،ةدورلا هذه يقبُت نأ رّدجبنكلو ،نذإ !تّفجدقة ةساعفصنبعد ةرا هاتء ،املاخً لايلقة ةدورلا هذه نكاسنإلا نم ؤقّتأ .وقنًلاثم لافأ:لوقي نإسنلا نّ جئاوحلا يضقيو ُدّيجٌ دحأ .نكل ،ىرن ،هدمحأ هذه ةدورلا هذه نكاسنإلا اذه لهو هذنعمدنعً ثلاثلا ثانيا مويلا يفف!؟جئاوحلا يضقي يذلا ،ةرغفلا ىلإ لوخدلاب انلسمح لا نّأ لهأ نلبكي!م:نمتأ لا!؟ل:لوقي بلا ،ةتاتبأ

موصعملا كلاهم تاراعشلاب لماعتلا زاوجدع

دّادحلا ّيسلا موحرملا ديفحة يؤرلا رخآ دحأو يخأو انأ تُبهذ ،تارّملا ىدحإ يففي معسكر الأسرى العراقيّين في شازند شمال أراك. دخلنا إلى مبنى المحافظة ليتّصل هو، ونذهب إلى هناك، ونرى هل يوجد هكذا شخص في الأساس أم لا؟ قالوا لنا: «لماذا أتيتم؟!» قلنا: أتينا لنرى أحد أقاربنا وأصدقائنا كان في العراق وهو من ضمن الأسرى، هو شابٌّ جيّدٌ وليس كالبقيّة وخصائصه تختلف. حتّى إنّنا كنّا قانعين بمقدار أنّه لو أمكن أن نراه من خلف الأسلاك الشائكة ونسلّم عليه. ولكن لأنّنا لم نأخذ موعدًا مسبقًا، لم يسمحوا لنا نحن الطلبة الثلاثة بالدخول! كان من الواضح أنّ المحافظ جالسٌ في الغرفة ولكنّهم كانوا يقولون: «الحاج مشغول، انتظروا!». فقلنا: «وهل لهذه الغرفة بابٌ آخر؟! لم نرَ أحدًا يدخل الغرفة ليكون الحاج مشغولاً! لو أراد أحدٌ أن يذهب إليه، فيجب أن يمرّ من هنا!» خلاصة القول، جلسنا هناك حتّى الظهر.

وعندما حلّ الظهر قالوا: «لقد ذهب الحاج ليصلّي». فقلتُ له أنا: «ألم يكن لديك لسانٌ لتقول إنّه لا يريد أن يقابلنا ولا يسمح لنا بالدخول لنعود أدراجنا؟! نحن لا نريد أن ندخل مكتب الحاج بالبندقيّة!». ولا يخفى أنّه بعد شهرٍ من هذه القضيّة، عُزل ذلك الرجل، وربّما تقاعد! ففي نهاية المطاف، فإنّ كلّ عملٍ يخضع لحساب خاصّ، ولربّما كانت لديهم أعمال وأشغال خاصّة، ولم يكن بالإمكان أن يتمّ الأمر بهذا النحو، بل لا بدّ من أخذ موعد قبل عام أو ستّة أشهر! بالطبع، قلنا: لو أراد الله فسيتمّ الأمر، ولم نتابع بعد ذلك، ثمّ تمّ الأمر ولله الحمد دون أن نطلب شيئًا من أحد.

لا أدري، عندما قال أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشتر: لكيلا يكون بابك مقرّ حكمك، وأن تفتح أمامك الأبواب، وتكثر جنودك، أم أنّ أعمالنا كثيرة جدًا، ولا يكون لك حاجبٌ أصلًا؟ هل أخطأ ـ والعياذ بالله ـ أمير المؤمنين عليه السلام لا ينفعنا! على أيّ حال، فإنّ كلام مالك الأشتر؛ ولذلك فإنّ الإمام عليه السلام سهل! وتحدّث عن كلام الإمام عليه السلام

الحمد لله تعالى على الأجر والثواء

«الحمد لله الذي رزقني ثواب هذا الأجر ووفّقني لخدمته»؛ «الحمد لله الذي أوجر خدمته؛ ولو رجوتُ غيره، لأخلفت رجائي ولم يعبأ بي».

يقول الإمام السجّاد عليه السلام: لقد أخطأتَ بذهابك إلى مبنى المحافظة، ولو قرأتَ دعاء أبي حمزة الذي ذكرتُه، لما ذهبت! والآن بما أنّك لم تقرأه، فاذهب، فالذنب ذنبك! إنّ الالتطلّع إلى أهل الدنيا وتعلّق الأمل على كرمهم ليست له نتيجة غير هذه! ونحن أيضًا نقبل من الإمام السجّاد عليه السلام، صحيح، الذنب ذنبنا!

الناس يبحثون عن مصالحهم. وعندما يُسلّم أقرب الناس على الإنسان يبتسمون له، فلذلك لأنّهم يريدون منه لأنفسهم! أقرب الناس إلينا يريدون لأنفسهم! أما تقبلون؟ إن لم تكونوا قد جرّبتم، فأنا قد جرّبت! ولكنّ المهمّ في هذه القضيّة هو أن يغضّ الإنسان نظره، وكأنّه لم ير شيئًا!

هذا الإله بهذه الخصائص هو أفضل محمود يُمكنني حمدُه؛ فلماذا أذهب إلى المحامد الإلهيّة الجائزة والقيم المؤقتة؟! يجب أن أخرج من هذه الكثرات، وأذهب إلى ذلك الأصل، وأبحث عن جنود محمد، وجنود علي، وجنود الرجاء والأمل به، ولطفه وعنايته دائمًا ومن وبقيّة!

---

[1] نهج البلاغة (صبحي الصالح) ج ٣، ص ١١٣: «وَ كَمْ مِنْ عَدُوٍّ مُتَجَرِّدٍ قَدْ جَدَّ فِي أَمْرِكَ وَ قَلَّدَ لِلَّهِ فِيكَ بِكُلِّ حَرْبَةٍ وَ أَضْرَعَ خَدَّيْهِ لِلْخُدُودِ وَ وَضَعَ جَبِينَهُ لِلسُّجُودِ لِلَّهِ فِي أَنْ أَمْكَنَكَ مِنْ أَعْنَاقِهِمْ فَأَعْقَبَكَ اللَّهُ بِهِمْ وَ مِنْهُمْ فَأَعْظَمَ مَنَّكَ عِنْدَهُ وَ أَسْبَغَ نِعْمَتَكَ لَدَيْهِ وَ أَجْزَلَ قِسْمَكَ مِنْ عَطَايَاهُ وَ مَنَائِحِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ وَ لَا يَحُولُ وَ لَا يَفْنَى وَ لَا يَبِيدُ مِنْ ذَخَائِرِ الْأَجْرِ وَ كَرَائِمِ الذُّخْرِ وَ عَاجِلِ طَيِّبَاتِ الدُّنْيَا وَ آجِلِ رَغَائِبِ الْآخِرَةِ».

حركة السلوك، حركة من الجزئيّة إلى الكلّيّة

السالك هو من يقطع نظره عن الجزئيّات. كان المرحوم العلامة يقول: «حركة السلوك هي حركة من الجزئيّة إلى الكلّيّة» أي لا ينظر الإنسان بعد ذلك إلى الجزئيّات والأمور المؤقّتة، ويرى ما وراء هذه الجزئيّات، ويكون التفاتُه إلى تلك الكلّيّات؛ وحينها، يتعايش مع الجزئيّات أيضاً. ويكون التفاته إلى تلك النقطة، ثمّ يكيّف نفسه، ويتوافق مع الناس أيضاً. «إرِ النّاسَ»[1] كن مع الناس وضع كلّ إنسان في موضعه، ولكن [اعلم أنّ] الهدف كلّيٌ.

بالطبع، لو شمل لطف الله عبداً، فإنّه يحقّق هذا الأمر فيه، ومن خلال الأحداث والتقلّبات والتغييرات والتبدّلات التي يُدرّها في حياته ومعيشته وعلاقاته، يضع هذا المعنى ـ شاء أم أبى ـ في ذهنه، ويفهّمه أنّ: «لَيسَ فِي الدّارِ غَيرُهُ دَيّارٌ»[2] أي: في عالم الوجود هذا، صاحب البيت واحدٌ فقط، والبقيّة كلّهم مستأجرون!

معنى إحياء ذكر أهل البيت، انطباق قضايا التاريخ على الذات

عندما قرأ سيّد الشهداء عليه السلام في ليلة عاشوراء أشعاراً للسيّدة زينب، اضطربت عليها السلام كثيراً؛ ألعلّه لم يكن قد استقرّ في ذهنها بعدُ أنّ القضيّة جادّة! هل حدّثت نفسها الآن [فإنّه لا يصدّقها!] كانت السيّدة أنّ الإنسان ما لم يقع في خضمّ الحادثة تصبح القضيّة جادّة، زينب عليها السلام تسمع من الإمام الحسين عليه السلام أمراً بين الحين والآخر، ولكن في ليلة عاشوراء، أصبحت القضيّة جادّة، وذهب الجميع!

خطب الإمام الحسين عليه السلام خطبة وقال: إنّي لا أمزح معكم، فلو وقع غدٌ شيءٌ فليس الذنب ذنبي! أقول لكم من الآن، كلّ من يبقى معي، غداً هذا كسيوف وسهام ورماح، والسلام! الآن ليل، فأطفئوا السراج أيضاً، ولا تخجلوا منّي، واذهبوا جميعاً! هذا فراق بيني وبينكم!

«فَانطَلِقُوا فِي هَذَا اللَّيلِ قَد غَشِيَكُم فَاتَّخِذُوهُ جَمَلاً»[3]؛ «لقد غشيكم الليل، فاتّخذوه جملاً وكوبًا، وانجوا بأنفسكم، وغادروا هذه الصحراء».

فجأةً، أُضيئت السرج، فرأوا أنّه من بين تلك الألف، لم يبقَ أكثر من بضع وثلاثين، واللبقيّة كانوا من أهل البيت والإخوة والأبناء وأبناء الإخوة وأبناء عمومة الإمام الحسين عليه

---

1. غرر الحكم و درر الكلم، ج ١، ص ٨١٨.
2. تراجيع الرباعيات، ترجمة الله ولي.
3. الإرشاد، ج ٢، ص ٩١.

السلام. عندما رأوا أنّ الإمام الحسين عليه السلام يقول كلاماً جاداً، وأنّ القضيّة جادّة، ذهب

الجميع! إنّها الروح، ولا يُمكن تسليمها بسهولة!

فقد، يجب أن نجلس إلى الله تعالى، ونتصوّر أنفسنا في ذلك المجلس ليلة عاشوراء، «يا علي» ونذهب! ابتهل يا

عزيزي، فإنّ الله تعالى يُقدّر هكذا أمور للإنسان! أجل، قد لا يصل الأمر إلى الموت، أو إلى

مثل قضيّة عاشوراء، ولكنّه تعالى يقدّر هذه الأمور بطريقة أخرى. فمثلاً، تأتي مسألة

دعد الحقّ والتخلّي عنه. هل تظنّون أنّ قضيّة أولئك الذين تركوا الحقّ بعد

السمعة والإثبات على الحقّ **العلاّمة الحلّي**؟! كانوا يقولون: «لو نطقنا بالحقّ، لأفلست! لو قلنا الحقّ، فمن أين نحصّل رزقنا؟! لو قلنا، كيف نعيش مع زوجاتنا وأطفالنا؟! لو قلنا، سيخلق لنا مشاكل!». يا سيّدي، كانوا يقولون هذه المواضيع حقّاً، وأنا لا أقول شيئاً من عندي!

نسأل، ما فرقكم عن ذلك الذي خرج من خيمة الإمام الحسين عليه السلام؟! وحينها،

عاشوراء، وأقرأ زيارة «يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَكُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً» وتقول باستمرار:

نلطم على الصدر من أجل الإمام الحسين عليه السلام!

المقصود من إحياء ذكر أهل البيت في رواية الإمام الصادق عليه السلام

لماذا يقول الإمام الصادق عليه السلام: «رَحِمَ اللهُ مَنْ شَيَّعَتْنا مَنْ أحيا أمرَنا»؟ هذا الإحياء

للأمر لأيّ شيء هو؟ هل للجلسة هكذا فقط بكينا على الإمام الحسين عليه السلام، يكون

هذا إحياءً للأمر؟! لا، إحياء الأمر هو أن يطّلع الإنسان فضايا التاريخ على تاريخه هو،

ويرى نفسه كلّ يوم في عاشوراء ومدرسة الإمام الصادق وأبي حنيفة، هل هو من ضمن

مجلس أبي حنيفة أم من ضمن مجلس الإمام الصادق عليه السلام؟! المجيء إلى مجلس الإمام

الصادق عليه السلام فيه سجن، ولكنّ الذهاب إلى مجلس أبي حنيفة فيه مال! يجب على

الإنسان كلّ يوم أن يشعر بنفسه في خيمة الإمام السجّاد عليه السلام، ويرى هل هو مع الإمام

السجّاد عليه السلام أم مع الآخرين؟! أن تكون مع الإمام السجّاد عليه السلام قد تكون فيه

مشاكل. قد لا تكون.

هذا هو مقصود الإمام الصادق عليه السلام، لا أن تجلس تلطم الرأس والصدر من

أجل الإمام الحسين عليه السلام! الإمام الحسين عليه السلام ليس بحاجة إلى لطم الرأس

---

1. من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٥٩٤.

والصدر! وأمير المؤمنين عليه السلام ليس بحاجة لذلك! هذا اللطم على الرأس والصدر، وهذه النياحة واللطم على الصدر من أجل أمير المؤمنين عليه السلام هو إدخال النفس في حريم حضرته، وهذا هو معنى **«رَحِمَ اللهُ مَنْ أحيا أمرَنا»**

إنّ قول الإمام الصادق عليه السلام: رحم الله آباء وأمّهات شيعتنا وموالينا ومحيّينا الذين يعقدون مجلسًا ويتحدّثون عن مواضيعنا ويبيّنون للناس ذكرنا -أي مأثوراتنا ومصادر عنّا- هو أنّ الناس بسماعهم لهذه المواضيع يتقدّمون ويقتربون أكثر، ويكيّفون أنفسهم مع هذه المسائل، فيتساءلون: لو كانت الآن ليلة عاشوراء، ماذا كنّا سنفعل؟! لو كان الآن زمن المنصور الدوانيقيّ، ماذا كنّا سنفعل؟! لو كان الآن زمن هارون، ماذا كنّا سنفعل؟! كلّ هذه مطارق يجب أن تنزل في كلّ لحظة على رؤوسنا وعقولنا، حتّى لا نُفكّر بالهند[1] ولا ندخل في الكثرات! فتضربنا هذه المطارق، وتُنبّهنا باستمرار.

إذا حصلت قضيّة أو أردت أن تتجاوزها، فتجاوزها بسرعة واذهب ولا تتأخّر كثيرًا! لا ينبغي للإنسان أن يقف! لقد بيّنتُ لكم أنّه عندما ترك المرحوم العلامة مسجد القائم، كلّ رجل دين كنتُ أصادفه في طهران، كان يقول بتعجّب وبعبارات عجيبة:

كم كان مسجده مكانًا جيّدًا، وكان يقع في شارع سعدي الشماليّ، كيف رضي بأن يترك هذا المسجد؟! وكان له مريدون، فكيف رحل عنه؟!

كلّ من كنتُ أصادفه، كان يقول الشيء ذاته! وحتّى عندما التقيتُ بأحد الشيوخ، قال هو أيضًا نفس الكلام! هذا لأنّه هو الذي كان يملك مسجد القائم، لا أنّ مسجد القائم كان يملكه! إذا امتلكك المسجد، فلن تستطيع فعل شيء بعد ذلك، وهذه هي المصيبة التي ابتليتم بها. إذا امتلكك المريد والمسجد والدكّان والرئاسة والمكانة؛ فكلّ هذه ابتلاءات! ولكن في وقتٍ ما يكون الإنسان هو الذي يملك المريد والمسجد والرئاسة؛ وفي هذه الحالة، يستطيع أن يتركها، ويقول: «كنتُ أملكها حتّى الآن، والآن أتركها، فهل هناك مانع؟!».

كنّا نريد أن نتحدّث في هذا المجلس عن فقرة **«اللّهمّ إنّي أسألُك بالمطالب إليك مُشَرَّعَةً»** ولكن تطرّقت لتتمّة الفقرة السابقة، وإن شاء الله -لو وفّقنا تعالى ولم يحصل بداء- سنتحدّث عنها في المجالس القادمة.

[1] عبارة مجازيّة تُشير في الثقافة الفارسيّة إلى استحضار الإنسان للذكريات القديمة، واشتياقه للرجوع إلى الزمان القديم؛ ولعلّ السيّد قدّس الله سرّه الشريف أراد من خلالها الإشارة إلى حنين الإنسان السالك إلى الدنيا وشوقه إليها. المعرّب

لقد انقضى شهر رمضان، والليلة هي ليلة الثاني والعشرين، وليس معلومًا كم ليلة أخرى سيوفّقنا الله عز وجل لمحترمة جدًا.

توصية العلّامة الطهراني بإحياء العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك

كان المرحوم العلّامة يقول:

لو استطاع الإنسان أن يقضي هذه العشر كلّها في الإحياء، وألّا يكتفي فقط بليالي الحادي والعشرين والثالث والعشرين والسابع والعشرين، لكان قد فعل عملًا جيّدًا!

بالطبع، بحسب القدرة والطاقة! ليس لازمًا أن يحيي الليل كلّه، بل ليالٍ مساعتين، ويُحيي الباقي، ثم يُعوّض نقص النوم في النهار؛ لأنّ لهذه العشرة الأيّام خصوصيّات مميّزة، وهذه الليالي التي نحن فيها تختلف عن العشرتين السابقتين.

حقًّا، لو لم تكن لدينا هذه الأدعية، فأيّ سُتور وقدوة كنّا نتّخذ، وعلى أيّ شيء كنّا نستند؟! أن يقرننا الله ـ إن شاء تعالى ـ ببركة أوليائه وأصفيائه، وببركة الإمام السجّاد عليه السلام، وبنياتهم، ويحشرنا معهم في هذه الليالي!

اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ